﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن بيَّن الله تعالى في الآية السّابقة أنّ أهل الكتاب ليسوا على شيء منَ الدّين ما لم يؤمنوا بيَّن في هذه الآية أنّ هذا الحكم عامّ فيهم وفي غيرهم من جميع أهل الملل، فليس لأحد فضيلة إلّا إذا آمن بالله تعالى، واليوم الآخر، وعمل الأعمال الصّالحة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: جمع صابئ، وصبأ: خرج. ومنه قولهم: صبأَ ناب البعير، إذا طلع. وقولهم: (صابئ) لكلّ خارج من دين إلى دينٍ آخر، واختلف في المراد بـ: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، فقيل: هم قوم بين المجوس واليهود والنّصارى، وقيل: فِرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزّبور، وقيل: هم قوم يعبدون الملائكة، وقيل: هم فرقة جامعة لما تفرَّق من أصول أديان أهل الشّرك، وغير ذلك.

وقيل: بل ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ جمع صابٍ، من صبا إلى الشّيءِ يصبو إذا مال إليه، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: 33]، وعليه فالمراد بـ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: الّذين اتّبعوا الهوى في دينهم، ولم يتّبعوا أدلّة العقل والسّمع[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إنّ المؤمنين واليهود والصّابئين كذلك - وهم طائفةٌ بين المجوس وأهل الكتاب، وقيل غير ذلك - والنّصارى من آمن مِن هؤلاء جميعًا بالله واليوم والآخر، وعمل العمل الصّالح، فلا خوف عليهم ممّا يُقدِمون عليه من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من لذّات الدّنيا وحظوظها.

(1) الرّاغب، المفردات: (صبا)، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/662، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 6/241.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التّأكيد في: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ لمَّا تقدَّم في السّورة ذمُّ اليهود، وذكر نقضهم للمواثيق، ووصفهم بالقسّوة، وإخفاء الكتاب وتحريفه، وغير ذلك ممّا قد يدعو إلى إنكار قبول توبتهم - وكانوا هم أيضًا ينكرون فلاح العرب - اقتضى الحال أن يكونَ الكلام في الآية مؤكَّدًا[1].

كثرة المعاصي لا تمنع من قبول التّوبة:

دلالة تعميم الكلام وعدم تخصيصه بأهل الكتاب:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية لمّا طال الكلام مع أهل الكتاب في الآيات السّابقة، وسُجِّلت فيها عليهم مخالفات عدّة، كان ربَّما ظُنَّ أنّ ما تقدَّم منَ التّرغيب، والتّرهيب، والأمر، والنّهي خاصّ بهم، فذكر الله تعالى في هذه الآية أنّهم وغيرهم من سائر الفرق سواء في الخطاب بتوحيد الله تعالى، والاستقامة على شرعه[2].

جميع الفرق سواء في التّكليف بتوحيد الله وعمل الصّالحات:

وفي تعميمِ الكلام وإدخال جميع الفِرَق فيه أيضًا، تشريف لمقدار النّبيّ ﷺ بالإشارة إلى عموم دعوته، وإحاطة رسالته من جهة خطاب جميع النّاس بالإيمان بها، والانقياد لأحكامها[3].

رسالة الإسلام جامعة شاملة:

لم ذُكِرَ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ في الآية؟

وفي ذكر الصّابئين في الآية - مع أنّه لم يتقدّم لهم ذكر فيما سبق - اكتفاءٌ عن ذكر غيرهم من أهل الشّرك، وذلك على القول بأنّهم فرقة جامعة لما تفرَّق من أصول أديان أهل الشّرك، فكأنّه قيل: حتّى الصّابئون مع ظهور ضلالهم وزيغهم تُقبل توبتهم إن آمنوا وعملوا الصّالحات، فغيرهم من سائر المشركين كذلك[4].

ذُكر (الصّابئون) استغناءً عن ذكر بقيّة المشركين:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/241.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/240.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/240.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/62.

دلالة كون ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ على نيّة التّأخير:

الصّابئون أشدّ الفِرَقِ المذكورة في الآية ضلالًا:

وذهب جمهور المفسِّرين والمعربين إلى أنّ في الآية تقديمًا وتأخيرًا، وأنّ التّقدير: إنّ الّذين آمنوا، والّذين هادوا، والنّصارى مَن آمن بالله إلخ، والصّابئون كذلك، فقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ ليس معطوفًا على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو مقدَّم لفظًا - كالجملة الاعتراضيّة - مؤخّرٌ تقديرًا، وإعرابه مبتدأ، وخبره محذوف[1].

وفي تأخير جملة: (والصّابئون كذلك) نكتة لطيفة، وهي أنّهم أشدُّ المذكورين في الآية ضلالًا، فكأنّه قيل: كلّ هؤلاء الفِرق إن آمنوا وعملوا الصّالحات قُبِلت توبتهم، حتّى الصّابئون فإنّهم إن آمنوا أيضًا كانوا كذلك، فغيرهم تُقبَل توبتُه بقياس الأولى[2].

دلالة التّرتيب والتّعاطف في الآية:

الفِرَق المذكورة في الآية مرتّبةٌ بحسب إيغالها في الضّلال:

وذهب بعض العلماء إلى أنّ المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الآية، أي: آمنوا بألسنتهم فقط، وهم المنافقون، وأنّ ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ معطوف على ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[3].

وعليه فإنّ العطف والتّرتيب في الآية قد رُوعِي فيهما إيغال كلّ منَ الفرق الأربعة المذكورة في الضّلال، فبُدئ بالمنافقين، وعُطِف عليهم اليهود؛ لكونهم أوغل ضلالًا، ثمّ ثُلِّث بذكر الصّابئين، وعُطف عليهم النّصارى؛ لكون ضلالهم أخفّ من سابقيهم[4].

مظِنَّة العفو في حقّ الفريقين المقدَّمَين أبعد منَ الفريقين المؤخَّرَين:

وقيل: لمَّا كانت مظِنَّة العفو، وقبول التّوبة في حقّ المنافقين واليهود، أبعدَ منها في حقّ النّصارى والصّابئين - لأنّ عِنادهما واستهزاءهما أكبر - قدِّم ذكرهما في الآية، وأُخِّر ذكر الصّابئين والنّصارى[5].

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 4/353.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/661، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/402.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 3/367.
(4) السّمين، الدّرّ المصون: 4/363.
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 5/434.

فائدة ترك الجارّ والمجرور في: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾:

تـــرك الـــجـــارّ والمـجـرور يفيد التّعميم:

وقوله تعالى: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إلى آخر الآية هو على تقدير حذف الجارّ والمجرور العائدَين على ما تقدَّم ذكره منَ الفِرَق، والتّقدير: مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر إلخ، وفائدة الحذف هنا الإبلاغ في التّعميم، فكأنّه قيل: كُلُّ مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فله أجره إلخ[1].

لِمَ جاء البدل في: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ والمبدل منه على لفظ واحد؟

فـــي الـــبـــدل تخصيص مَن آمن بالله واليوم الآخر دون سائر المؤمنين:

قوله تعالى: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أظهَرُ وجوه إعرابه أنّ ﴿مَنۡ﴾ بدل من اسم ﴿إِنَّ﴾، وما عُطف عليه، وعليه يتّفق المُبدَل منه – وهو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ – مع البدل، وهو ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ في اللّفظ.

وفائدة تَكرار ذكر المؤمنين في الآية؛ تخصيص المؤمنين بالله واليوم الآخر بأنّهم هم الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون دون سائر مَن يُنسِب للإيمان، كالمنافقين الّذين آمنوا بأفواههم فحسب، ولم تؤمن قلوبهم[2].

البدل تابع لـ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ وما عُطِف عليه:

وقيل: إنّ ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ بدلٌ منَ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، وما عُطف عليه دون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وعليه فيكون التّقدير: إنّ الّذين آمنوا، ومَن آمن بالله واليوم الآخر منَ اليهود والصّابئين والنّصارى، وعمل صالحًا، فلا خوف عليهم إلخ[3].

المراد بـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هنا: مَن آمن بلسانه دون قلبه:

وقيل: إنّ المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في صدر الآية هم المنافقون، فهو عامٌّ مخصوص، ووجه إطلاق الإيمان عليهم كونُهم أظهروا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/242.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/242.
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/404.

الإيمان، وأمنوا منَ القتل والسّبي، والمراد بـ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مَن حقَّق الإيمان، وثبت عليه[1].

لمَ خُصَّ الإيمان بالله واليوم الآخر بالذّكر دون سائر أركان الإيمان؟

الإيمان بالله واليوم الآخر أعظمُ المعارف:

قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ خُصَّ الإيمان بالله واليوم الآخر بالذّكر دون سائر أركان الإيمان؛ لأنّه لمّا كانت أشرف المعارف هي معرفة الله تعالى، وكان من كمال هذه المعرفة اعتقاد كمال قدرته، والإيمان بأنّه يحشر عباده يوم القيامة، ويبعثهم للحساب، كان أفضل المعارف هو الإيمان بالله واليوم الآخر؛ فلذا خُصَّا بالذّكر[2].

دلالة الجمع بين الخوف والحزن في الآية:

الخوف يتعلّق بالمستقبل، والحزن يتعلّق بالماضي:

وجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بين الخوف والحزن للدّلالة على أنّ مَن آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحًا لا خوف عليه؛ بسبب ما يشاهده من أهوال يوم القيامة، ولا هو يحزنُ على ما فاته من طيِّبات الدّنيا؛ لِمَا يجدُه يوم القيامة منَ الكرامة والتّشريف ممّا يجعله لا يبالي بسبب ما فاته من طيّبات الدّنيا، وقد جُمِعا كذلك في قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصّلت: 30]، فالخوف يتعلّق بالمستقبل، والحزن بالماضي[3].

دلالة الرّفع والتّنوين في: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾:

جنس الخوف منفيّ عنِ المؤمنين:

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قرأه الجمهور بالرّفع والتّنوين، وفي هذه القراءة نفي للخوف عن أهل الإيمان بصيغة الابتداء، كأنّه قيل: هل على المؤمنين خوف؟ فأجيب: لا خوف عليهم، فاكتُفِي فيها بنفي جنس الخوف عنهم[4].

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/206 - 207.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/404.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/207.
(4) ابن أبي مريم، الموضح: 1/270.

دلالة الفتح في: ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾:

التّنصيص على نفي جميع أنواع الخوف:

وأمّا قراءة يعقوب ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ بالفتح وعدم التّنوين ففيها تنصيص على نفي جميع أنواع الخوف عن أهل الإيمان، كقولهم: لا رجلَ في الدّار، فإنّه أبلغ في النّفي مِن: لا رجُلٌ، إذ قد يحتملُ وجود رجلين فيها لا رجل واحد، فقراءة الفتح آكَد في نفي الخوف من قراءة الرّفع[1].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/274.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»